وطليـة من الطُّلى اعنـدكم محتجب (كذا)
(ش) وولدُ الظبيـة يُسمَّى بالطَّلا والراح ان تُطْبَخ تُسمَّى بالطِّلا
وجمع اعنـاق الانام فالطُّلى تقودُها ازمَّةُ الاقـدار
(ق) ديارهُ قـد عَمَرتْ ونفسهُ قـد عَمِرتْ
وارضـهُ قد عُمِرتْ من بعـد رسم خرب
(ش) تقولُ في البناء دارٌ عَمَرتْ وامرأةٌ مسنَّةٌ قـد عَمِرتْ
والارضُ بالسكنى واهلٍ عُمِرتْ كذا القرى عند ذوي الاحوار
(ق) لمَّا رأيتُ هجرهُ وذلَّـهُ ومطلـهُ
نظمت في وصفي لهُ مثنـاً في قطربِ

وبعد هذا دور من بحر اخر للكاتب قال :

تمَّ الكتاب بكملهِ (كذا) نعم السرور لصاحبـهْ
وعفا الاله بفضلهِ وبجوده عن كاتبـهْ

(قال) وكاتب هذين (كذا) النسختين العبد الفقير احمد عبدالرحمن السنهوري الشافعي غفر الله لها ولوالديهما وللمسلمين اجمعين في ٣ ربيع الاول سنة ١١٣٢

عجائب تيبت

نظر للأب لويس شيخو اليسوعي

انبأت اخبار البريد الاخير ان بريطانية العظمى عقدت معاهدةً مع حكومة تيبت تخوّل الانكليز حرّية الاتجار في تلك البلاد . وقد ظنَّ ارباب السياسة ان هذه المعاهدة من جملة الاتفاق الحديث الذي جرى بين انكلترّة وروسيا

ولما كانت بلاد تيبت معدودة حتى يومنا من مجاهل الاقطار رأينا ان نجمع في مقالة منفردة ما تمكّن السياح القليلون من معرفتهِ عن تلك الاصقاع القاصية التي لم يزل اهلها يتحصّنون غاية جهدهم في وجه الاجانب وطالما ردُّوهم خائبين إلَّم يفتكروا بهم ويقطعوا حبل حياتهم . وها نحن نقسم ذلك الى فصول تسهيلًا للمراجعة

﴿ اسم تيبت ﴾ لم يتفق العلماء سابقاً في معنى اسم تيبت وقد أثبت اليوم للعلماء انَّ اصل هذا الاسم مشتقّ من اللغة التيبتيَّة فيدعون بلادهم بود او بوديول ومعناها البلاد العالية او المملكة القديرة ومنها اشتقّ الصينيُّون اسم تلك البلاد فدعوها توفا او توبت فلفظها العرب تُبَّت او تُبَّت وابتدعوا في اصل تسميتها قصَّة غريبة فيزعمون ان احد ملوك حمير وهو تُبَّع الاقرن مرَّ ببلاد تبَّت متوجهاً الى الصين ليغزوها فابتنى في تلك البلاد مدينة عظيمة اسكن فيها ثلاثين الفاً من اصحابه نسبًا « تُبَّت » بن « تُبَّتَ » فيها من رجاله. وهو اشتقاق عجيب لم يذكرهُ غير كتبة العرب (اطلب معجم البلدان لياقوت ٨١٨:١ ومروج الذهب للمسعودي ٣٥١:١)

﴿ حدود تيبت ﴾ موقع بلاد تيبت في مشارف آسية الوسطى شمالي هندستان وغربي جنوبي بلاد الصين يحدُّها شمالاً وشرقاً تركستان الشرقي او الصينيّ ومقاطعات صينيَّة . اما جهتها الغربيَّة فتحدُّها املاك الانكليز الهنديَّة كبرمانية وعصام و بوطان ونيبال وكشمير. وحدودها في جنوبه والجنوب الغربي اعظم اطواد الارض اخصُّها جبال حملايا وقراقورم

﴿ اقسام تيبت ﴾ تُقسم بلاد تيبت الى ثلاثة اقسام: قسم شمالي وقسم جنوبي وقسم شرقي . فالشمالي عبارة عن انجاد عالية تُدعى انجاد خاتشي تكثر فيها البحيرات حتى دُعيت تلك الجهة بتيبت البحيرات . يقوى عليها البرد القارس واليبوسة العظيمة حتى ان الخشب والحجارة تتشقَّق بسببها . وتبَّت الجنوبيَّة تدعى ايضاً بوديول تكثر فيها الاودية وتجري بينها الانهار الزاخرة المياه . اما تبَّت الشرقيَّة المدعوة ايضاً خام فانها تشبه بجبالها الشاهقة واغوارها العميقة جبال الالب الاوربيَّة وكاد هذا القسم يكون مجهولاً قبل النصف الاخير من القرن المنصرم . فتيبت كما ترى متَّسعة الارجاء. وقد ذكر المسعودي مساحتها فقال ان طولها ٥٠٠ فرسخ في عرض ٢٣٠ فرسخاً. والجغرافيون المحدثون يحسبون طولها ٢٨٠٠ كيلومتر وعرضها ٩٤٠ ك. فيكون تكسير مساحتها ٢,٦٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع ويلحقون ببلاد تيبت اعمالاً أخرى تدور في دائرتها وتحتكم باحكامها وهي قطر لادلك غرباً الذي يُعرف ايضاً بتيبت الصغيرة وقطر بوطان جنوباً وقطر خورخاتشي شمالاً وهي تؤدي لامرائها الجزية

واهل تبت يقسمون بلادهم الى اربعة اقاليم : اقليم أوّي الذي فيه موقع حاضرتهم « لاصا » وفيها مركز ولايتهم وقطب دينهم ومقام احبارهم ومنتدى علومهم وسوق تجارتهم يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠,٠٠٠ وفي هذا الاقليم مدينة جيكاغينكار احفل بلاد تبت بالسكّان وعددهم مئة الف . ثم اقليم ترانغ عاصمتهُ جيكادزه عدد نفوسها ٣٠,٠٠٠ . ثم اقليم خام واقليم نكاري وبهذا الاقليم الاخير منرطة البلاد الصغيرة التي مرَّ ذكرها

﴿ وصفها الجغرافي ﴾ بلاد تبت من اعلى الاقطار الارضيَّة وهي بالنسبة الى آسية كسويسرة الى اوربَّة الّا ان علوها يفوق كثيرًا على علوّ بلاد سويسرة فانها ليست فقط محدودة باطواد شاهقة كما سبق بل في داخلها ايضًا عدَّة جبال تتوّجها الثلوج الغرّاء التي لا تذوب عن قممها صيفًا مع شتاء فان بعض هذه الجبال يبلغ قريبًا من ٨٠٠٠ متر فوق سطح البحر اعني ضعف جبل الابيض في سويسرة

وفي تبت الانهار الكبيرة ذات المياه العرمرميَّة تسيل في اودية مختلفة وتصبّ في ثلاثة بحار متباينة في الاوقيانوس الكبير وفي بحر بنغالي وبحر عُمان ومنها تتولَّد انهار الصين كيانغ تسي كيان وانهار الهند الصينيَّة كناغتشو وجاغبو وبورونغتشو . امَّا اكبر انهار تبت فنهر ياروتزانغو الذي يجري من الغرب الى الشرق . ومن انهار تلك البلاد ما تجرف مياهها شذور الذهب

وفي تبت ايضًا بحيرات كبيرة في بعضها الجزائر المحدقة بالمياه اعظمها بحيرة نمتسو في شمالي البلاد . ثم في شرقيها بحيرة بوكا التي منها يتولَّد نهر ناغتشو . وبحيرة مافام دالاي في سفح جبال حملايا يعتبرها اهل البلاد كبحيرة مقدَّسة ويحجّون اليها من الاماكن النائية وعلى شواطئها اللازورد والبورق . وبحيرة دزام تسو التي تسكن احدى جزائرها امرأةٌ يعظّمها الهنود كاحدى الإلاهات السماوية

وتبت من البلاد الغنيَّة بالمعادن الثمينة وغيرها فيها الحجارة الكريمة والذهب والفضة والرصاص والزئبق والكبريت . بيد ان اكثر هذه المعادن لم تُستثمَر بعد . اما الفلّات فانها لا تزكو الّا في بعض جهاتها لاسيما بطاحها وبقاعها المستورة بالجبال فهناك يستغلّون كل اصناف المزدرعات كالقمح والشعير الاسود والحمص . ولا ينبت الارزّ في غير المقاطعات الجنوبية . وفي سفح جبالها الغابات الباسقة كالسنديان والصنوبر والشربين

والسرو. واشجارهم المثمرة هي كالاشجار الشائعة في انحاء الشام ولهم اشجار تفرّدوا بها يتخذون اليافها واوراقها وثمارها لمآكلهم وصناعاتهم. ومن غريب تلك الاشجار شجرة كومبون اي شجرة العشرة الآلاف صورة ترى مرسومة على اوراقها علامات تُشبه الحروف التيبتيَّة وحتى الان لم يُكتشف سرّ هذه الكتابة والمظنون انَّ الكهنة يرسمونها سرًّا ليخدعوا بها العامَّة

اما الحيوان فان تيبت تأوي خصوصاً الحيوانات الجبليَّة المختصَّة بالبلاد الشديدة البرد كالدِّبة والذئاب . وعندهم الخيل البريَّة الصغيرة الجسم والجواميس المتوسطة الكبر المسماة ياك . ولهم قطعان المواشي التي تطيب لحومها والبانها ويتاجرون باصوافها الناعمة ويصنعون منها الشالات الغالية الثمن. وعندهم صنف من بقر الوحش يدعونهُ سرو يُشبه الرئم وهو وحيد القرن . ومن اشهر حيواناتهم واجداها نفعاً ظباء المسك التي اطنب العرب في وصفها واحسن ما كُتب فيها وصف التاجر العربي سليمان في كتاب سلسلة التواريخ (ص ١١٠ من طبعة باريس) وباشر وصفهُ ببيان فضل المسك التبتي على المسك الصيني قال :

ان الارض التي بها ظباء المسك الصيني والتبت ارض واحدة لا فرق بينهما فاهل الصين يجتذبون ما قرب منهم من الظباء واهل التبت ما قرب منهم واغفل فضل المسك التبتي على الصيني بحالتين انَّ ظبي المسك يكون في حدّ التبت رعيهُ من سنبل الطيب وما يلي ارض الصين منها رعيهُ سائر الحشائش. والحالة الاخرى تَرك اهل التبت التوافج في حالها وغش اهل الصين لما وقع اليهم منها وسلوكهم ايضاً في البحر وما يلحقهم من الاعداء. فاذا ترك اهل الصين المسك في توافجهِ وأُودعت البراني واستوثق منها ورد ارض العرب كالتبتي في جودتهِ . واجود المسك كلهِ ما حكَّهُ الظبي على احجار الجبال اذ كان مادةً تصير في سرَّتهِ ويجتمع دمًا عبيطاً كاجتماع الدم فيما يعرض من الدمامل فاذا ادرك حكَّهُ واضجره فيفرغ الى الحجارة حتى يخرقهُ فيسيل ما فيهِ فاذا خرج عنهُ جفَّ واندمل وعادت المادة تجتمع فيهِ كمن ذي قبل . ولتبت رجال يخرجون في طلب هذا ولهم بهِ معرفة فاذا وجدوه التقطوه وجمعوه واودعوه التوافج وحُمل الى ملوكهم وهو غاية المسك اذ كان قد ادرك في توافجهِ على حيوانهِ وصار لهُ فضل على غيره من المسك كفضل ما يدرك من الثمار في شجره على سائر ما يُترع منهُ قبل ادراكهِ . وغير هذا من المسك فانما يُصاد بالشرك المنصوب او السهام وربما قُطعت التوافج عن الظبي قبل ادراك المسك فيها. على انهُ اذا قُطع عن ظبائهِ كان كريه الرائحة مدة من المدد حتى جفَّ على الايام الطويلة وكلما جفَّ استحال حتى يصير مسكاً . وظبي المسك كسائر الظباء عندنا في القدّ واللون ودقة القوائم وافتراق الاظلاف وانتصاب القرون وانعطافها ولها نابان دقيقان ابيضان في الفكَّين قائمان في وجهِ الظبي

طول كل واحد منهما مقدار فتر ودونهُ على هيئة ناب الفيل فهو الفرق بينها وبين سائر الظباء

وفي تيبت ايضاً دويبَّة اخرى مسكيَّة عرفهـا العرب بفارة المسك قال القزويني (ص ٥٢) :

وبها (اي تُبَّت) فارة المسك وهي دويبَّة تُصاد وتُشدّ سرَّتها شدًّا وثيقاً فيجتمع فيها الدم ثم ذبحوها وقوَّروا سرَّتها ودفنوها في وسط الشعير اياماً فيجمد الدم فيها فيصير مسكاً ذكيًّا بعد مـا كان نتن الرائحة وهي احسن انواع المسك واعزُّها . وايضاً في بيوتهم جرذان سود لها رائحة المسك ولا يحصل من سرَّتها شيء يُنتفع بهِ

﴿ ما عرفهُ القدماء من احوال تيبت واهلها ﴾ لو جُمعت روايات القدماء عن بلاد تيبت لوجدتها زهيدة عقيمة لا تتجاوز اسطراً قليلة . وفي كتب الصينيين بعض تفاصيل عن العلاقات بين الصين وتبَّت وعن اخبار تلك البلاد واهلها سنذكرها قريباً . وممَّن عرفوا التيبتيين العرب فدخلوا بعض جهاتهم وسمعوا شيئاً من اخبار اهلها فدوَّنوها في كتبهم كما سمعوها من الرواة ولعلَّ هؤلاء بالغوا في وصفها تعظيماً لها قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص٥٢) :

تبت بلاد متاخمة للصين من احدى جهاتهِ وللهند من اخرى مقدار مسافتهـا مسيرة شهر بها معدن وعمارات كثيرة ولها خواص عجيبة في حيوانها ومائها وارضها من سهلها وجبلهـا ولا تخفى عجائب احجارها وثمارها وابارها . وهي بلاد تقوى بها طبيعة الدم فلهذا الغالب على اهلها الفرح والسرور فلا يزال الانسان بها ضاحكاً فرحاً لا يعرض لهُ الهمّ والحزن ولا يكاد يرى بها شيخ حزين او عجوز كئيبة بل الطرب في الشيوخ والكهول والشبان عام حتى يرى ذلك في وجه بهائمهم ايضاً وفي اهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وانواع الرقص حتى ان احدهم لو مات لا يدخل اهلهُ كثير حزن

وللمسعودي (١ : ٣٥٠) كلام مثل هذا واغرب منهُ وهو القائل عن اهل تبَّت واصلهم الحميري :

والغالب عليهم حمير وفيهم بعض النبابنة على حسب مـا ذكرنا . . . ولهم حضر وبدو وبواديهم تُرك ولا تُدرك كثرة . . . ولهم تخُّن كثير بعضهم على بعض والتشُّم فيهم عامّ وكذلك يظهر من بهائمهم وهذا البلد سُمّي بمن ثبت فيهِ ورُتب بهِ من رجال حمير قتيل تُبَّت لقبوهم فيهِ . قال دعبل الخزاعي في مدح قحطان :

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو ... وباب الصين كانوا الكاتبينـا
وهم سمّوا سمرقندًا بشمر ... وهم غرسوا هنـاك التُّبَّتيا

ومن غرائب المرويّات في معجم البلدان (١ : ٨٢٠) قولهُ :

ويقال ان وادي النمل الذي مرَّ بهِ سليمان بن داود (عم) خلف بلاد التبَّت وبهِ معدن الكبريت الاحمر قالوا وبالتبَّت جبل يقال لهُ جبل السمّ اذا مرَّ بهِ احد تضيق نفسهُ فمنهم من يموت ومنهم من يثقل لسانهُ

﴿ الرحل الاوربيَّة الى تيبت ﴾ اوَّل من دخل تيبت من الاوربيين احد المرسلين الفرنسيسكان المدعوّ اودريك دي باردينوني (١٢٨٦–١٣٣١) زار الصين والهند في اوائل القرن الرابع عشر وطاف بلاد تيبت داعيًا اهلها الى ديانة المسيح وعمَّد منهم عشرين الفًا ورحلتهُ مدوَّنة في كتاب اعمال القدّيسين للبولنديين في ١٤ كانون الثاني الواقع فيهِ عيد هذا المرسل القديس . ثم بقيت تلك البلاد مجهولةً الى القرن السابع عشر ففي سنة ١٦٢٤ تمكن احد الآباء اليسوعيين اسمهُ انطون دي اندرادا بعد مشقَّات لا يفي بها احصاء من الدخول الى تيبت وكانت غايتهُ ان ينهج لاخوتهِ طريقًا تؤدي بهم من الهند الى الصين اقصر من الطريق البحريَّة التي كانت تقتضي السنة والسنتين . فتجوَّل في انحاء تيبت ودخل على امرائها ولم يزل يكدّ ويسعى حتى بلغ حدود الصين ولما عاد الى لشبونة سنة ١٦٢٦ كتب اخبار رحلتهِ في اللغة البرتوغاليَّة . فرغب الناس في معرفة تلك البلاد العجيبة الَّا انهم وجدوا في بلوغ غايتهم عقبات لم يمكنهم تذليلها . وكان الاب دي اندرادا رجع الى الهند ليعود ثانية الى تيبت لكنَّ الهنود دسُّوا لهُ الدسائس فدافوا لهُ السمّ وقتلوه

وبقيت تيبت في عزلتها لم يستطع احد من فتح بابها الى السنة ١٦٦١ حيث ساح فيها مرسلان آخران يسوعيَّان غروبر ودورفيل مرَّا بتيبت عائدَين من الصين . وفي السنة ١٧١٢ زار تيبت مرسل رابع يسوعي طلياني الاصل اسمهُ هيبوليت دازيدري سافر من دهلي مع الاب مانويل فرار في ٢٣ ايلول سنة ١٧١٤ فدخلا لاهور ثمَّ قطعا مع شقّ النفس جبال كشمير وفي السنة التالية وصلا الى بلاد لاداك الخاضعة لتيبت وجعلا يدرسان لغة التيبتيين ويبحثان عن امورهم ولا سيَّما عن دينهم ويشرَّاهم بالدين المسيحي فاصغى الشعب الى اقوالهما واستحسنوها . ولما بلغهم ان في وسط البلاد مدينة كانوا يعدُّونها كمركز دعوتهم وقطب كل امورهم دينًا ودنيا عزما على السفر اليها ووصلا بعد ستة اشهر الى بلاد لاصا او حلاصا ودخلا في حاضرتها المدعوة ايضًا

بهذا الاسم في ١٨ اذار سنة ١٧١٦ وبقي فيها الآب دازيدري الى سنة ١٧٢٧ فوصفها وصفاً متسعاً وتقرّب من اهلها ودعا منهم قوماً الى الدين المسيحي وكاد ينشىء هناك رسالة ثابتة الّا ان مجمع انتشار الايمان استدعاهُ الى رومية لامور هامّة فرجع الى عاصمة الكتلكة ودوّن كلّ معلوماتهِ عن بلاد تيبت في كتاب واسع طُبع قسم منهُ. وكان جلب معهُ بعض الكتب التيبتيّة من جملتها كتابهم الديني الكبير المدعو كنجيار او ساهوران فنقلهُ كلّهُ الى اللاتينيّة وهو تأليف ضخم يبلغ ١٠٨ اقسام متسعة

وبعد رجوع اليسوعيين من تيبت وكل مجمع انتشار الايمان الى الآباء الكبوشيين المرسلين في آجرا على حدود تيبت بان يهتموا برسالة تلك البلاد فكانت تحت نظارتهم الّا انهم لم يستطيعوا ان يقووا على العوائق التي قامت في وجههم الّا البعض منهم كالاب اورازيو دالّا پنّا الذي تجوّل في تلك البلاد وكتب عنها اموراً غريبة . وفي تلك الاثناء طاف ايضاً في تيبت رحّالة هولندي اسمهُ فان دي پوت وتوطّن لاصا مدّة وقد فقد معظم ما كتبهُ عن تلك البلاد الّا خارطة رسمها تحفظ في مدلبورغ في زيلندة وكان اليسوعيون في الصين بايعاز الامبراطور « كنغ هي » علّموا كاهنين من كهنة تيبت المدعوّين لاما بان يرسموا صورة بلادهما فرسمها الكاهنان وهذه الخارطة من ادقّ واضبط ما وُضع حتى اليوم

ولمّا صارت بلاد الهند تحت حكم الانكليز ارسلوا الى امراء تيبت وفداً ليعقدوا معهم عهداً تجاريّاً سنة ١٨٠٠ وقد اخبر بذلك احد اصحاب هذا الوفد اسمهُ صامويل تورنر ومذ ذاك الحين توجّهت انظار الانكليز الى بلاد تيبت المتاخمة لهند الانكليزيّة لكنّ آمالهم لم تتحقّق في التقرّب منها . وفي هذه السنة ذاتها نقل الخوري الروسي هياكنت بوتشيرين وصفاً لبلاد تيبت نقلهُ من اللغة الصينيّة وكان رأى امراء تيبت في پاكين لمّا قدموا على ملكها سنة ١٨٠٠ يجدّدون لهُ مراسيم الخضوع

هذا ملخّص الرحل الاوربيّة الى التيبت قبل القرن التاسع عشر وكان كثيرون افرغوا كنانة الجهد لزيارتها فخابت مساعيهم وفي اواسط هذا القرن عزم المرسلون الكاثوليك على فتح رسالة في تلك الجهات ومكّن كاد يصيب المرمى ويبلغ تلك الغاية مرسلان لازريّان وهما الابوان هوك وگابت (Huc et Gabet) بشّرا بالايمان مدّة في الصين ثم سافرا مع كاهن تيبتي تنصّر على يدهما وقضيا في سفرهما سنتين تجشما

في مدتها الاخطار وقاسيا اصناف الاتعاب فوصلا الى حاضرة لاصًا واحتلًا تلك المدينة وسكناها اربعة اشهر في سنة ١٨٤٦ وكانا يتوبان ان يقضيا فيها حياتهما الّا ان العامل الصيني فيها بامر الامبراطور اضطرّهما الى الرجوع الى الصين. وقد كتب الاب هوك تفاصيل رحلته في كتاب خاصّ نُقل الى كل اللغات الاوربيّة

وفي السنة ١٨٤٨ صارت رسالة تيبت في عهدة مرسلين كاثوليك من جمعيّة الرسالات الاجنبيّة فرحل منهم خمسة كهنة من جهات مختلفة حتى اذا مات بعضهم او رُدُّوا خائبين امكن الآخرين بلوغ غايتهم ففاز احدهم الاب رينو (Renou) واجتمع بارباب الدين عند اهل تيبت وتعلّم لغتهم وألّف معجماً لدرسها وبعد اللتيّا واللتي امكنهُ ان يشتري ارضاً اقام فيها منزلاً ومستوصفاً فانتشرت اخبارهُ في تيبت وقصده الاهلون من كل صوب ثمّ لحق به غيرهُ من المرسلين ولم يزالوا يصرفون القوى في توسيع نطاق رسالتهم وفتح منازل غيرها في حدود تيبت حتى تخوّف اصحاب الدين البودي على سلطتهم فهيجوا القوم على المرسلين وقتلوا منهم كثيرين واضطهدوا الذين تبعوهم في دينهم واخربوا كل الابنية التي شيّدوها ١٨٨٧ . وكان بين اولئك المرسلين رجل مقدام تعمّق في درس آداب التبتيين اسمهُ ديغودين (Desgodins) فصنّف كتاباً في وصف تلك البلاد واهاليها

لكنّ الاوربيين رغماً عن كل هذه العثاكل لم يروا بُدًّا من التوغّل في تيبت فعادوا بعد السنة ١٨٩٠ وجهّزوا البعثات لتلك البلاد ليفحصوا عن مجاهلها ويستخرجوا دفائنها منهم الفرنسويّان دوترويل دورنس (Dutreuil de Rhins) وغرنارد (F. Grenard) اللذان سافرا سنة ١٨٩١ على طريق القبجاق وتركستان وكشمار الى خوطان الى تيبت فقُتل الاوّل وعاد الثاني سالماً فكتب اخبار الرحلة . ومنهم الاميركي روكهيل (W. W. Rockhill) الذي طاف بلاد تيبت ونشر في لندن وفي ولشنغتون تفاصيل بعثته

وفي السنين العشر الاخيرة تقدّم الانكليز الى حدود تيبت ليأخذوا بناصر بعض رعاياهم هناك وحدثت حرب الصين مع يابان وزاد النفوذ الانكليزي في تيبت فتعدّدت الرحلات اليها قدخلها ليتلدال (Litteldal) وولبي (Welby) والبرنس هنري دي اورليان والمسيو دي ميلواي (de Milloué) والهندي شندرا داس وغيرهم.

وآخرُ من دخلها روبرت غرتس (R. Geerts) البلجكيّ والذي كان في خدمة والي مقاطعة « كان سو » فرحل في العام ١٩٠٦ الى تيبت ونشر مؤخرًا بعض تفاصيل رحلته في نشرة الدروس الاستعماريّة البلجيكيّة (١

﴿ السكان ﴾ يقدّرون عدد اهل تيبت بنحو خمسة آلاف الف من النفوس . والتيبتيون من العنصر المغولي او التتري . وهم اشدّاء البنية متوار الاعصاب صادقو اللهجة أباة الذل ذوو انفة وحميّة كماء الطباع مغاوير في الحروب يصدقون اعداءهم الحملات ولا يهابون الموت . وقد طُبعوا مع هذا على لطف الطباع ودماثة الاخلاق ومن حسن سجاياهم انهم يكرمون وفود الضيف ويعدّونه من جملة اهل البيت ولا يضنّون عليه بشيء من مقتناهم

والتيبتيون يحبون اللاهي والالعاب ويقضون اوقاتهم في الافراح والمسرّات ويشربون المسكرات ويدمنون على الرقص ولعلّ كتبة العرب نسبوا الى التيبتيين البسط والسرور الدائم لاجل هذا السبب لكنهم بالغوا في قولهم الى حد الغلوّ ونسبوا الامر الى احوال الجو كما مرّ (ص ٥٢٦)

واهل تيبت اذكى عقلًا من بقيّة التتر والمغول وهم يحسنون الصنائع كالنقش ونحت التماثيل وقطع الحجارة الكريمة وسبك المعادن وصياغة الجواهر وحياكة الانسجة واشغال النجارة المتقنة وغير ذلك من الاعمال التي تشهد لهم بالحذق والبراعة . على ان هذه الاشغال الصناعيّة لا يزاولها منهم الّا العامّة اما الاعيان فيعتبرونها مخلّة بشرفهم وهم يكلّفون نساءهم بالاعمال الشاقّة ولا يكادون يفكرون في غير اليوم الحاضر ليذخروا لعيالهم معاشًا ولاولادهم مالًا

ومن سوء عاداتهم تساهلهم في امور الزواج اذ يتصرّفون في المرأة تصرّفهم في البهيمة العجماء والاضرار عندهم شائع بل ربّما تعدّد الازواج على المرأة الواحدة . واذا مات الرجل دخلت زوجاتهُ في حكم اخيهِ . والطلاق في تيبت لا يُسمح به الّا لاسباب ثقيلة . اما الفجور فهو فاشٍ عندهم لحريّة زائدة في بناتهم وقد بلغ الامر الى حدّ عظيم حتى فرضوا على النساء تلافيًا لهذا الشر بالّا يخرجنَ من بيوتهنّ دون ان

(١ اطلب عدد ايّار الاخير Bulletin de la Société Belge d'études coloniales *Mai* . 1908 . *Bruxelles*.

صورة دير لاما المسمّى برشالا الذي يسكنهُ دالي لاما زعيم الدين في إلتبت

يطلين وجوههنّ بطلاء غروي اسود اللون تشويهاً لمنظرهنّ . وهذه السنّة قد شاعت منذ القرن السابع عشر وهي لم تحسم الداء الّا نوعاً

والتيبتيون قسمان بدو وحضر فاهل البادية يرعون المواشي ويزاولون الحراثة والغزل واما اهل الحضر فيترزقون بالتجارة . والنساء يتّجرنّ كالرجال . وهم يعرضون مبيعاتهم في الشوارع وليس لهم حوانيت يودعونها عروضهم . وعلى لسواقهم شيوخ او محتسبون يلحظون العيارات والموازين لئلّا يغشوا الزبون . ونقودهم قليلة لا يستعملون منها سوى مسكوك فضي واحد يُضرب في بلاد نيبال . ويتخذون غالباً في متاجرهم قطعاً من الذهب والفضة غير المسكوكة يزنونها ويدفعون ما يساوي السلعة

﴿ لغتهم وعلومهم ﴾ لغة التيبتيين جامعة بين خواصّ اللغات المنفردة المقاطع والتصريفيّة وعلاقتها مع اللغات المنفرلّة اظهر . امّا كتابتهم فاستعاروها من الكتابة الهنديّة القديمة وتتركب احرفها الهجائيّة من ثلاثين حرفاً . ولهم كتب واسعة تتضمن علومهم الدينيّة يلقّنونها المترشحين للمراتب الدينيّة . ولهم مدارس يعلمون فيها صغارهم مبادئ القراءة والكتابة واصول الدين . اما العلوم الخاصّة فلا يعرفون منها الّا القدر القليل كالحساب وشيء من العلوم الفلكيّة لضبط تقويم سنتهم وقليل من الطب والجهل سائد في معظم الشعب والخرافات مطبقة على عقولهم وفي لاصا مدرستان ثانويّتان ومطابع

﴿ حكومتهم ﴾ الهيئة الحاكمة في تيبت تجري غالباً على حسب الدستور الصيني لانّ تيبت من البلاد المنوطة بالصين تؤدي لصاحبها الجزية وللصين حكام في تيبت ينظرون في امور اهلها ويتوسّطون بينهم وبين امبراطور الصين الّا انّ سلطتهم اسميّة لا فعليّة لاتساع بلادهم وصعوبة المواصلات بين الصين وتيبت . وغاية ما يعلنون به خضوعهم ما يوفدونهُ الى ملك الصين من الوفود وقتاً بعد آخر ليقدّموا له بعض الهدايا وتيبت عسكر يبلغ عدده ٦٤٠٠٠ جندي يلبسون الدروع ويتقلّدون السيوف ويتكبّون الاقواس والبندقيّات او يحتقلون الرماح وفي ايديهم الترس يصوّرون عليها الحيوانات الضارية وعلى رؤوسهم الخُوَذ يزينونها بريش الطواويس او بالعصائب الملوّنة واذا جنى الجاني اثماً زجوهُ في الحبس وعاقبوه بالمقطرة وربما ينفذون فيه الحكم . ومن غرائبهم أنهم كانوا يلقون الائمة مشدودين في مناور تكثر فيها الحيّات والعقارب او

كانوا يسلمونهم الى قبائل متوحشة تتغذى بلحوم البشر او يقطعون اعضاءهم اربًا اربًا

﴿ تاريخهم ﴾ قد تكتّم الكتبةُ الظلمات في تعريف اصول التبتيين وبيان تاريخهم القديم . ويزعم الصينيون انّ اهل تيبت كانوا يسكنون الصين قبلهم فلمّا فتح ملوكهم تلك البلاد طردوهم منها فتوغلوا مجاهل تيبت واستوطنوها . اما التيبتيون فلا يعرفون شيئًا من اصلهم ويقول بعضهم انّ جدّهم الاوّل كان المًا على القرد فازدوج بجنيّة واولد التيبتيين . ومما يؤخذ من الكتابات الصينيّة القديمة ومن بعض تلميحات للجغرافيين الرومانيين واليونان انّ اهل تيبت كانوا قبائل متفرقة في اوائل تاريخ النصرانيّة . وقد عدّد هذه القبائل كاتب صيني من القرن السادس للميلاد ووصف مساكنها وخيامها وعاداتها وهي في الغالب كعادات اهل تيبت في عهدنا كما مرّ وصفها . وكانت هذه القبائل خمس عشرة على كل قبيلة شيوخ او امراء وبقيت تلك القبائل متفرّقة الكلمة حتى جمعها نحو سنة ٦٣٠ اميرٌ ذو سطوة ويأس اسمهُ سيرونغ او سيرونغ تسان پو فتحالفت القبائل وكان هو ملكها واتخذ لأوّل مرّة كرسيًا للملك وارسل الى الهند وفدًا فاستعار لقومه دياثة الهنود وكتابتهم . ثم قام بعد سيرونغ اولادهُ فوطّدوا دعائم سلطتهم وزادوها اتساعًا وارسلوا السفارات الى البلاد البعيدة لمحالفة اهلها . وقد بلغت تلك السفارات حتى بغداد فحالفوا خلفاءها العباسيين

ثم قوي نفوذ البوذيين في القرن العاشر فشقّوا عصا الطاعة للامراء التيبتيين ودعوا الناس لنفسهم وصار الحكم في ايدي هؤلاء الكهنة مدّة . ثمّ حصل بين الكهنة والامراء مخاصمات وحروب فكان الفوز تارةً لهؤلاء وتارةً لأولئك حتى فتح الصينيون بلاد تيبت ولم يروا لحفظها في ملكهم طريقة اصوب واثبت من ان يمدّوا عليها ايدي الكهنة ويجعلوا فوقًا لهم فيها ليؤيّدوا سلطتهم ويكسروا شوكة المتمرّدين عليهم لاسيما بعد ان قبض الامبراطور كيان لنغ سنة ١٧٥١ على امير تيبت وامر بقتله فحصلت تيبت على السلام التام وبقي اهلها في عهدة ارباب الدين

﴿ الدين ﴾ ابقينا هذا الفصل لختام هذه المقالة لان للدين في تيبت احوالًا خاصة تفرز تلك البلاد عمّا سواها

كان الدين الشائع في تيبت الى القرن السادس للميلاد اشبه شيء بدين الصينيين

فكانوا يؤلهون القوات الطبيعية ويسجدون لها وكانوا يخصون باكرامهم اجدادهم الموتى فيقدمون لهم التقادم وكان لهم كهنة عرافون سحرة يلتجئون اليهم في امورهم ويقربون على يدهم القرابين والذبائح من المواشي والبشر ايضاً. وبقي الحال على ذلك الى ان دخلت بينهم ديانة بوذا الهندية في عهد الملك سيرونغ السابق ذكره لكنها لم تشع عندهم الا في القرن التاسع للميلاد

اما بوذا المذكور ويدعونه ساكياموني فقد اختلفوا في زمن حياته فمنهم من يجعله في القرن السادس قبل المسيح ومنهم من يقرب عهده الى القرن الثالث اما حياته فلم يكتبها مشايعوه الا عدة اجيال بعد موته فتراهم ينسبون اليه من الاعمال العجيبة الغريبة ما لا يقبله عاقل ولا يرضى به اديب . وترى في روايات البوذيين من التباين والاختلاف ما يضعف الثقة فيها ويولي الريب في صحتها . وقد تحقق اليوم اصحاب النقد ان الذين كتبوا ترجمة بوذا باشروا ذلك بعد شيوع النصرانية فنسبوا اليه اشياء نقلوها عن الانجيل او سمعوها من دعاة الدين المسيحي

وقد امتاز بوذا بمناقضة دين البراهمة في الهند فلما كان البرهمانية جعلوا الشعوب طبقات منها للامر والسيادة اشتقوا اصلها من آلهتهم وخصوها بامتيازات لا تتناول سواهم ومنها للعمل والصناعة ومنها للذل والاستعباد بحيث لا تمتزج طبقة بأخرى ولا تخالطها البتة في كل اطوار الحياة قام بوذا لمماكسة البراهمة ولشاع مذهب الانتشار فجعل الله سبحانه وتعالى كمجموع الكون العام متمثلاً بكل المخلوقات وليست المخلوقات سوى ظواهر ذلك الاله العظيم الذي يظهر هنا في شكل الحيوان وهناك في صورة النبات وفي محل آخر في صورة الجماد ويتلون بألوانها ويتصف بصفاتها ويتغير بكل تغيراتها وذلك مذهب الحلول الذي لا يفرز بين الخالق والمخلوق وبين الله والعباد

ومن تعاليم البوذية التقمص فان الحي ومنه الانسان اذا مات تجددت حياته في مخلوق آخر ثم ينتقل الى مخلوق ثالث ورابع الى ما شاء الله . وهم يزعمون ان الانسان اذا زهد في الامور الهيولية وتجرد عن المحسوسات تحول آخراً الى وجود الاله بعينه فدخل في ذلك الكل العام وفقد وجوده الخاص . فمن ثم على الانسان ان يزيد كل

يوم تجرُّدًا وزهدًا حتى تصفو حياتهُ من الهيولي فيعدم كونـه ويتحوَّل الى الكون العمومي الذي هو الله على زعمهم

فهذه خلاصة تعاليم البوذيين لما آدابهم فانها مطابقة لها فتراهم يصومون ويصلُّون ويمارسون التقشفات وضروب اعمال الاماتة ويسعون في ترحيض ذنوبهم بالتوبة عنها ويمتنعون عن الزواج وغايتهم من كل ذلك ان يشملهم يوماً اللاهوت فيلجوا في كونهِ المنتشر في كل العالم

تلك الديانة البوذيَّة نظريًا وقد انتشرت تعاليمها وسيرة نسَّاكها وتجرُّدهم في قسم كبير من شعوب الهند وشاعت في انحاء آسية الوسطى وانتشرت في الصين ويابان وسيام وسيلان ولا سيما في تيبت . على انَّ في هذه الديانة معايب تحطُّ من قدرها وتقانص تبخس شأنها . فمن ذلك انَّ بوذا واشياعهُ دعوا الناس الى الاخاء والتودُّد لكنهم لم ينفوا شيئاً من فظائع الوثنيَّة فتركوا لكل قوم خرافاتـهِ لا بل زاد بهم عدد اصنامهم فانَّ بوذا وكثيرًا من مشاهير البوذيين يُعبَدون الان بصفة آلهة حقيقيين يقدَّمون لهم الذبائح ويتقرَّبون اليهم بالقرابين . ومنها انهم أبطلوا في قلوب الناس الايمان بالآخرة وبيوم الدين اذ يعلمون بانَّ الانسان بعد ازمنة غير مقدَّرة سوف يعود الى العنصر الاصلي مهما كانت اعمالهُ . وليس الاعمال الصالحة فعل آخر سوى انها تقرِّب المدة لاستحالة الانسان الى اله . وبذلك اطلقوا العنان الى كل شهوات البشر الباطلة

هذا ما يُقال بالاجمال عن الديانة البوذيَّة اما في تيبت فقـد ظهرت في مظهر خصوصي فان لاهلها نظاماً دينيًا شبيهاً بنظام الدين الكاثوليكي وهم يسمُّون عندهم المنقطعين لامور الدين « لاما » يعيشون معتزلين عن العامَّة في شبه الاديرة تحت امرة كبير دينهم المدعو « دالاي لاما »

ولهذا الزعيم سلطة روحيَّة ومدنيَّة ايضاً يطيعهُ اهل تيبت ويحكم فيهم الحكم المطلق وهم يقبلون حكمهُ قبولهم لحكم بوذا ويزعمون انَّ بوذا يتجسد فيهِ ولذلك يجثون امامهُ ساجدين الى الاذقان

وللنساك اللاما درجات كالرهبان عندنا منهم الطلبة ومنهم المبتدئون ومنهم المأذونون بالتعليم الى غير ذلك مما تقلَّدوا فيهِ النصرانيَّة واخذوه عن نصارى الهنـد والصين في قديم الزمان لاسيما النساطرة الذين امتدُّوا في انحاء تلك البلاد . وكذلك عيشتهم

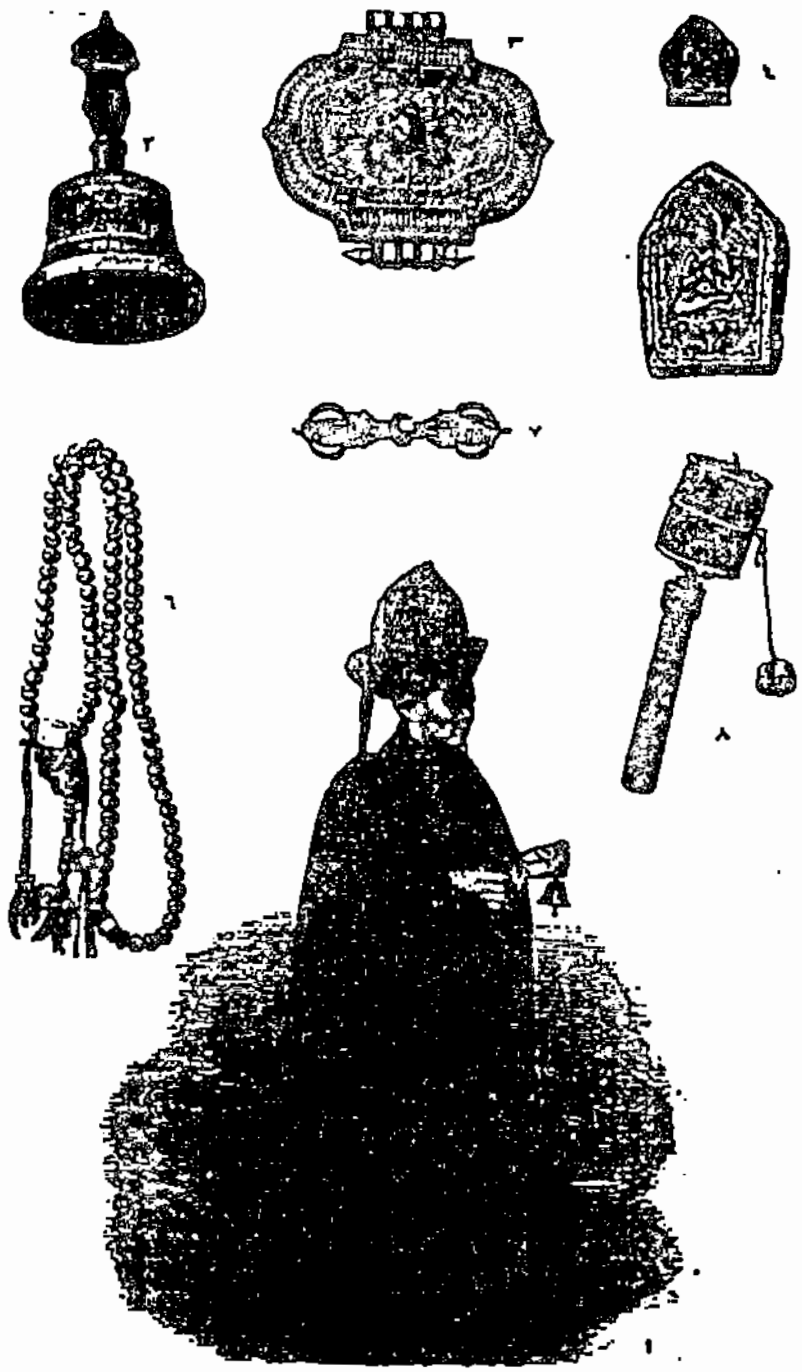

احد كهنة التيبتيين المدعوين لاما في لبسه الرسمي (ع ١) وحوله الادوات القدسية التي ذوقها في بناسكهم كالجرس (٢) وصوان الدشاشر (٣) وصور الاله بردا (٤ و٥) سحة (٦) والمخصرة (٧) واسطوانة الصلاة (٨)

في الاديرة على مثال الرهبان في النصرانيّة لكن بينهم وبين الرهبان النصارى فروقاً عظيمة اذ لا يبرزون لله نذراً وليست طاعتهم الّا في امور خارجيّة قليلة . وليس للفقر الاختياريّ عندهم اثر فانهم يجمعون المال ويصرفونهُ كيف شاؤوا وكل واحد منهم مستقلّ بمالهِ يُتاجر بهِ وينفقهُ في حاجاتهِ دون ان يكترث لحالة الجماعة . وهم يلبسون مع ذلك لباساً واحداً وربّما كان عددهم في الدير الواحد ثلاثة آلاف واكثر. ولهم اوقات معيّنة لبعض الصلوات يتلونها على نظام معلوم وينشدون الاناشيد وينفخون بالابواق ويتخذون آلات الطرب ليستعينوا بها في صلواتهم . اما هذه الصلوات فهي ابتهالات وتسابيح وتحريضات على عمل الصلاح واكرام بوذا . وفيها اشياء رمزيّة لا تُدرك معانيها ولم يتفقوا في شرحها . كصلاتهم للبذر يرددونها معظمين للبذر كنبات المهي يشفي كل الادواء . وقد اتخذوا لصلاتهم اسطوانة يديرونها فتمثل الادعية التقويّة بعض والابتهالات ويدعون تلك الآلة لسطوانة الصلاة . ولهم امور غريبة اخرى لا يسعنا هنا شرحها

واذا مات احد هؤلاء النسّاك احرقوا جثتهُ امّا العامة فانهم يمشون جثثهم ويدقونها في المدقّ ثم يلقونها للكلاب او للنسور او يرمونها في الانهار . اما رئيسهم الكبير فاذا مات ذهبوا الى احد السحرة ليدلّهم على طفل صغير يحلّ فيهِ روح بوذا ليقيموه في مكان الميت فيطلبون الطفل المذكور ويستدلّون عليهِ بادلّة يبيّنها لهم الساحر فياخذونهُ ويربونهُ حتى ينشأ ويكبر فيجعلونهُ في رتبة دالاي لاما وفي مقام بوذا وهم يدعونهُ « بوذا الحي » ولهم في كل دير رئيس مثلهُ الّا انّ الرئيس الذي في لاّصا اكبرهم واعظمهم شاناً واتفذهم سلطاناً وانصارهُ يلبسون اللباس الاحمر بخلاف اولئك الذين يلبس اصحابهم الابيض وفي خارج تيبت يلبسون الاصفر . ودالاي لاما لا يزال محجوباً منقطعاً الى اعمال رتبتهِ السامية واذا خرج حملوه في محفّة لابساً ثياباً فاخرة وعلى راسهِ تاج كتاج الاساقفة وعلى كتفيهِ شبه الغفارة وفي يده مِخصرة يبارك بها الشعب ويمشي امامهُ صفرف من اللاما رفعاً لقدرهِ . وهذه المظاهر التي شهدها بعض السيّاح مع ما سمعوا عن تعاليم البوذيين حملت بعض الكتبة على المقابلة بين النصرانيّة والبوذيّة وادّى بهم هذيانهم الى ان يفضلوا البوذيّة على النصرانيّة . فلابطال هذا المدّعى الكاذب يكفينا ان ننقل هنا قول واحد من اكبر علماء زماننا بالديانة

البوذيّة وهو السيّد دي هارلي (de Harlez) قال في مقـالة مطوّلة كتبها في هذا الصدد ما ترجمتهُ الحرفيّ:

« اني اعدُّ اقوال الذين يقابلون بين البوذيّة والنصرانيّة ضرباً من الهزل واللغط . ان غاية ما تحتويه الديانة البوذيّة بعض الوصايا الادبية والافكار السامية العقيمة . فان اعتبرتَ فلسفتها وجدتها سقيمة سخيفة لا تكاد تخالف فلسفة الماديّين والدهريين . وكذلك اخبارها عن اصل الانسان وتكوين العالم فانها اشبه بالاذيان منها بالتعاليم الصادقة . آدابهم مبنيّة على تعليم التقمّص فتعلّم الانسان ان يقضي حياتهُ في الزهد وتشف العيش لا لينال منها يوماً ثواباً عند الله بل ليفقد يوماً شخصيتهُ ويدخل في العدم . يقول البوذيون انهم لا ينكرون وجود الله لكن قولهم كذب محض اذ انَّ الفهم ليس هو باله شخصي قائم بذاتهِ وانما هو اسم معنًى يدعونهُ بالشريعة الكلية وليس لهُ حقيقة في الكون ليخلق ويدبّر ويثيب ويعاقب . فاجمع كل كتب البوذيين الدينيّة لا تجد فيها كلها من التعاليم الادبية الصالحة ما يجده النصرانيّ في الصلاة الربية وحدها . فرأي الخاص ان الفرق بين البوذيّة والنصرانية كالفرق بين السماء والارض وكبعد الثريّا من الثرى »

ولو اردنا نقلنا هنا اقوالاً لغيره من العلماء حتى الذين لم يدينوا بالنصرانيّة كريتان وستروس وغيرهما وليس كلامهم مخالفاً لرأي السيّد دي هارلي . وبهِ الكفاية

سلسلة مطارنة كرسي حلب

للخوري كبرئيل شارون الروم الكاثوليكي الملكي

حلب من المدن الاوليّة القديمة عرفهـا البابليون وسموها خَلبون وكذلك تكرّر ذكرها في الكتابات الهروغليفيّة على صورة خلبو واسمها العربي مشتقٌ من هذا الاسم القديم وسماها السلوقيون بيريا على اسم احدى مدن مقدونية . ولمّا ظهرت الدعوة النصرانية لم تتأخر حلب عن قبول بشارة الخلاص . ولعلها صارت منذ القرون الاولى مركزاً لاساقفة خصوصيين يديرون شؤونها لكن الآثار لم تحفظ لنا ذكر احد منهم قبل عهد قسطنطين الكبير . وها نحن نسرد هنا اسماء الذين وقفنا على بعض اخبارهم

١ (اوستاتيوس) كان اسقفاً على بيريا اي حلب في الربع الاوّل من القرن الرابع فلمّا عُقد المجمع النيقاوي الاوّل سنة ٣٢٥ اختارهُ اباء المجمع كخلف لبطريرك